



أية ثورة، وأية انتفاضة هذه التي تجتاح مدن سورية وريفها من أقصاها إلى أقصاها، ومن أدناها إلى أعلىها؟! وما هذا التنوع في الحراك الثوري، والشعبي، والعسكري، والنخبوi، والتي تختلف عن كل الثورات العربية كماً ونوعاً وكيفاً!.
إنها الشام، وأهل الشام، وما أدرك ما الشام وأهلها؟!.

فهي خاصة الله من أرضه، وأهلها المصطفين من خلقه.. عمود الإسلام فيها، وأرض النبوات، والبطولات، والملامح من أول الزمان، وفي آخره.. فيها ولد عيسى - عليه السلام -، وفي غوطة دمشق يهبط، ومنها ينطلق في القضاء على حركة الدجال وزمرة من المارقين والمتواطئين معه.

ومن قبل كانت ممالك أنبياء الله فيها.. من داود، إلى سليمان، إلى عهد القضاة، وعلى أرضها غالب جيش طالوت جيش جالوت، (وقتل داود جالوت).

ومن بعد كانت أرض الشام مركز الفتوحات، ونواة الحضارات، وإشعاع الفكر، ونور العلم. وكانت في الشام، قبلة الإسلام الأولى، ومجمع الأنبياء، ونقطة الانطلاق، وعروج المصطفى - صلى الله عليه وسلم - إلى السماوات العلا.
ومن لحظة أن وطأت قدما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرض بصرى الشام (من حوران)، في رحلته الميمونة، مرة مع عمه (أبو طالب)، وأخرى مع (ميسرة) غلام خديجة، والخير في تتابع على أهل الشام عامة، وأهل حوران خاصة، فهدي الله الغساسنة (سكان حوران) إلى الإسلام، والذين مدحهم حسان بن ثابت يوم وفدي عليهم في الجاهلية قبيل الإسلام بقوله:

لله دَرْ عصابة نادمتهِ *** يوماً بجلقِ في الزمانِ الأول
يُعشون حتى ما تَهُرُّ كَلَبُهُم *** لا يسألون عن السوادِ المُقبلِ
بيضُ الوجهِ كريمةُ أنسابِهِم *** شُمُ الأنوفِ من الطرازِ الأول
الملحقين فقيرهم بغنيهم *** المشفقين على اليتيمِ الأرمِلِ
أولادُ جفنةَ حول قبرِ أبيهم *** قبر ابنِ ماريةِ الكريِّمِ المفضلِ

وافتتح دمشق، وحمص وحلب بعد وقعة اليرموك الشهيرة. وكانت مملكة عبد الملك بن مروان فيها، وخلافة عمر بن عبد العزيز الراشدة كذلك، واستمرت الشام بأهلها من عزٍ إلى عزٍ، ومن فتح إلى فتح، كلما كبت، قيض الله لها من ينهض بها ويجدد أمر دينها، وكما قيض الله لها نور الدين زنكي، وعماد الدين زنكي، لينهضوا بالشام نهضة علمية وعسكرية وإصلاحية، وليوطّلوا الطريق أمام صلاح الدين الأيوبي ويكمّل المشوار من بعدهما، فيقضي على الدولة الفاطمية (في مصر)، وليوحد بذلك البلدين، ومن ثمَّ الانطلاق إلى حطين، وفتح بيت المقدس.

وكذلك وقف ابن تيمية في وجه التتار مع أهل الشام عسكرياً، ووقف في وجه الظلم والفساد أمام حكامها آنذاك بالتصدي بالحق، ووقف في وجه الخرافة والشعوذة علمياً، وجدد مع ابن القيم وابن كثير دين هذه الأمة.

ولم يتوقف المدد الإلهي لأهل الشام، من تهيئة العلماء العاملين، إلى المجاهدين الصادقين - وأحياناً الحكم العادلين - إلى أن جاءت عصابة البعث والباطنيين من النصيرييin، فانتهزوا فرصة من البلد، واغتصبوا الحكم فيها على حين غفلة من أهلها.. فكان ما كان.. من عسفٍ وظلمٍ وجورٍ، وحربٍ لله ورسوله ودينه وأوليائه، مدة خمسين سنة، حتى إذا ظن النصيرييون ومعهم حزب الشيطان، ومجوس إيران ورافضة العراق، أنهم قادرون على أهل الشام، فأتأهّم الله من حيث لم يحتسبوا.. من قبل أطفال حوران، فأشعلوها ثورة.. اقتبست من نورها حمص العدية، وغوطه دمشق والزبداني ومضایا، وحمّة البطولة والفاء، وإدلب الشهامة، وجبل زاوية الإباء، وزأر بها ليوث الفرات، وأبطال ريف حلب وبعض أحيائها، وتمور الساحل. ثورة.. تصدّعت لها قصور كسرى في إيران، واهتزت لها الضاحية الجنوبية لبيروت، وارتجفت بالمالكي الساحة الخضراء في بغداد، وحلت الكآبة على قرى جبال النصيريية في سوريا، وشُرقت بها الدولة اليهودية في فلسطين!!.

المصادر: